



متى كانت "كفى" بحاجة إلى تفسير؟ ما فينا من يجهل معناها ولا فينا أحد إلا قالها في يوم من الأيام. تقول لطفل مشاغب: "كفى"، بمعنى: كف وتوقف عن المشاغبة، وتقول لطالب كسول: "كفى"، بمعنى: توقف عن الكسل. فإذا قلتها لطرفين مختلفين فإنك تريده: "توقفا عما أنتما فيه".

ولكنها لا تصح إلا في المتعادلين المتكافئين اللذين يملك الامر سلطةً ونفوذاً عليهم، سواء كان نفوذاً معنوياً أو مادياً، كسلطة الأب على أولاده أو الصديق على أصدقائه. فإذا اقتل اثنان من أولادك أو اختصم اثنان من أصحابك وقلت "كفى" فإنك تقصد أن يتوقف كلاهما عن الاقتتال والاختصاص.

ولكن ماذا لو لم يكن الطرفان متكافئين أو لم يكن لك نفوذ على أحدهما؟ ما فائدة "كفى" في مثل ذلك المقام؟ لو أنك شاهدت رجلاً يعدو هارباً وفي إثره دب هائج فهل تصرخ فيهما "كفى"؟ ولو فعلت فما معنى "كفى" هنا؟

إن معناها الظاهر هو أن يتوقف الدب عن الهجوم والرجل عن الهرب! ولكن الدب الهائج لا يعقل، فلم يبق إلا أن المقصود هو الرجل المسكين. إنك تقول له: كفى، توقف عن الهرب واستسلم لمخالب الدب وأننيابه، استسلم لحتفك المحتوم. هذا هو حال من يوجه نداء بالكف والتوقف فيُشرك فيه نظام الاحتلال الأسدية الطائفية الملعون والشعب السوري الضعيف المستباح المهيض الجناح.

ويا ليت النظام كان دُبًّا هائجاً وحسب! إنه يجمع بوحشيته وغدره ومكره بين طبائع السباع والضياع والذئاب والثعالب والأفاعي والعقارب، فمنَ أَمْنَ أن ينام في قفص مع تلك الوحش جميـعاً فلا بأس عليه أن يفكـر بالتفاوض والتفاهم مع نظام الاحتلال الأسدـي الذي يحتـل سوريا منذ نصف قرن وينـيق السوريـين ألوان العذـاب.

\* \* \*

### ما البديل؟

علينا أن نبحث عن البديل، ولكن اسمعوا أولاً هذه الحـكاية.

انتشرت قبل خمسة قرون تجارةُ الرقيق عبر المحيط الأطلسي، فكان القرصنة يخطفون السكان الأفارقة من قراهم في غرب القارة الإفريقية ويكتبـونـهم بأغلالـ الحديدـ ثم يـشـحـنـونـهمـ فيـ سـفـنـ العـبـيدـ إـلـىـ العـالـمـ الجـدـيدـ، إـلـىـ حـيـثـ لاـ يـعـودـ الـذاـهـيـونـ، وـحـيـثـ بـيـنـتـظـرـهـمـ العـذـابـ الـأـلـيمـ فيـ رـحـلـةـ المـوتـ وـيـنـتـظـرـهـمـ العـذـابـ الدـائـمـ فيـ أـرـضـ الرـقـ الجـديـدـ.

هـذـاـ جـزـءـ مـنـ حـكـاـيـةـ حـقـيـقـيـةـ وـيـعـرـفـهـ أـكـثـرـ النـاسـ، فـاسـمـحـواـ لـيـ أـضـيـفـ إـلـيـهـ تـنـتمـةـ مـنـ وـحـيـ الـخـيـالـ: ذاتـ يـوـمـ اـسـتـطـاعـتـ جـمـاعـةـ مـنـ أـولـئـكـ الـأـسـارـيـ -ـفـيـهاـ رـجـالـ وـنـسـاءـ وـأـطـفـالــ. أـنـ تـفـكـ قـيـودـهـاـ وـتـقـفـزـ إـلـىـ المـاءـ بـمـرـكـبـ صـغـيرـ. لـقـدـ بـدـأـتـ الـجـمـاعـةـ رـحـلـتـهاـ الصـعـبـةـ إـلـىـ الـحـرـيـةـ وـهـيـ مـفـعـمـةـ بـالـتـفـاؤـلـ، تـرـجـوـ أـنـ يـكـوـنـ الـبـرـ قـرـيبـاـ وـتـأـمـلـ أـنـ تـمـرـ بـهـاـ سـفـنـ عـابـرـةـ فـتـوـفـرـ لـهـاـ الـحـمـاـيـةـ وـتـحـلـمـهـاـ إـلـىـ الـأـمـانـ.

وـلـكـنـ أـسـابـيعـ طـوـيـلـةـ انـقـضـتـ وـلـمـ يـظـهـرـ الـبـرـ فـيـ الأـفـقـ، وـمـرـتـ بـالـقـارـبـ الـبـائـسـ مـئـةـ سـفـينـةـ فـلـمـ تـبـالـ وـاحـدـةـ مـنـهـاـ بـهـ وـلـاـ بـمـعـانـةـ رـاكـبـيهـ وـمـاـ يـقـاسـونـهـ مـنـ جـوـعـ وـعـطـشـ وـمـاـ يـلـقـاـهـ بـهـمـ مـنـ عـذـابـ وـأـلـامـ.

لـقـدـ أـدـرـكـ أـهـلـ الـمـرـكـبـ أـخـيـراـ أـنـ رـحـلـتـهـمـ طـوـيـلـةـ وـأـنـ الـبـرـ بـعـيـدـ، وـأـدـرـكـواـ أـنـ السـفـنـ لـنـ تـنـقـذـهـمـ لـأـنـ أـصـحـابـهـ شـرـكـاءـ فـيـ تـجـارـةـ الـعـبـيدـ وـلـاـ يـسـرـهـمـ أـنـ تـنـجـحـ جـمـاعـةـ مـنـ الـأـسـارـيـ بـالـفـارـ منـ الـعـبـودـيـةـ إـلـىـ الـحـرـيـةـ. فـمـاـ يـفـعـلـونـ؟

هـنـاـ قـالـ بـعـضـهـمـ: لـيـسـ لـنـاـ إـلـاـ عـودـةـ إـلـىـ السـفـينـةـ التـيـ هـرـبـنـاـ مـنـهـاـ أـوـلـ مـرـةـ، فـإـنـ فـيـهـاـ الـأـمـانـ مـنـ خـطـرـ الـبـحـرـ وـفـيـهـاـ مـنـ الـمـاءـ وـالـغـذـاءـ مـاـ يـقـيـنـاـ وـبـيـقـيـ أـطـفـالـنـاـ أـحـيـاءـ، وـلـعـلـنـاـ نـفـاوـضـ الـرـيـانـ فـيـنـاـزـلـ لـنـاـ عـنـ السـفـينـةـ وـنـعـودـ بـهـاـ إـلـىـ الـوـطـنـ الـآـمـنـ.

قـالـ آـخـرـونـ: هـذـاـ وـهـمـ وـخـيـالـ، فـإـنـ الـقـرـصـانـ لـاـ يـتـخـلـىـ عـنـ كـنـزـ سـطاـ عـلـيـهـ أـبـداـ. سـوـفـ يـسـتـعـبـدـكـمـ مـنـ جـدـيدـ، فـمـاـ قـيـمةـ الـمـاءـ وـالـطـعـامـ إـذـاـ كـانـاـ لـاـ يـقـدـمـانـ إـلـاـ لـمـنـ غـلـتـ يـدـاهـ وـقـدـمـاهـ بـالـأـغـلـالـ؛ وـمـاـ فـائـدـةـ أـمـانـ أـسـابـيعـ إـذـاـ كـانـتـ عـاقـبـتـهـ عـبـوـيـةـ الـعـمرـ؟

قـالـ الـأـوـلـونـ: إـنـكـمـ قـسـاةـ لـاـ تـبـالـونـ بـعـذـابـاتـ الـأـطـفـالـ وـمـعـانـةـ الـأـمـهـاتـ. اـنـظـرـوـاـ إـلـىـ الصـغـارـ كـيـفـ تـشـقـقـتـ شـفـاهـهـمـ مـنـ الـعـطـشـ وـتـقـبـضـتـ بـطـوـنـهـمـ مـنـ الـجـوـعـ.

قـالـ الـآـخـرـونـ: بـلـ نـحـنـ أـرـحـمـ بـهـمـ مـنـكـمـ، فـإـنـاـ نـعـرـضـهـمـ لـهـذـاـ الـعـذـابـ الـعـارـضـ فـرـارـاـ مـنـ عـبـودـيـةـ الـأـبـدـ. وـهـبـواـ أـنـنـاـ عـدـنـاـ إـلـىـ السـفـينـةـ مـسـتـسـلـمـينـ، فـهـلـ تـأـمـنـونـ أـنـ لـاـ يـنـتـقـمـ مـنـ رـيـانـهـاـ شـرـ اـنـتـقـامـ؟ أـمـاـ عـلـمـتـ مـاـ يـصـنـعـ الـقـرـاصـنـةـ وـالـرـيـابـنـةـ الـقـسـاةـ بـالـمـتـمـرـدـيـنـ؟ سـوـفـ يـنـتـقـمـ مـنـاـ وـمـنـ النـسـاءـ وـالـأـطـفـالـ اـنـتـقـاماـ يـنـسـيـنـاـ أـهـوـالـ الـبـرـ وـشـقـاءـ الـرـحـلـةـ.

ثـمـ فـكـرـوـاـ: لـوـ أـنـنـاـ أـنـهـيـنـاـ مـغـامـرـتـاـ الـحـالـيـةـ بـالـاسـتـسـلـامـ ثـمـ بـدـاـ لـنـاـ أـنـ الـاسـتـمـرـارـ كـانـ هوـ الـصـوـابـ، فـمـنـ أـيـنـ لـنـاـ أـنـ نـعـودـ إـلـىـ حـيـثـ كـنـاـ فـيـ قـارـبـ النـجـاـةـ؟

\* \* \*

نـحـنـ بـحـاجـةـ إـلـىـ مـبـادـرـةـ بـالـتـأـكـيدـ، لـاـ يـشكـ فـيـ هـذـاـ عـاـقـلـ، وـلـكـنـ فـيـ الـمـبـادـرـاتـ نـوعـينـ لـاـ حـاجـةـ لـنـاـ بـهـمـاـ عـلـىـ إـلـطـلاـقـ: نـوعـ يـكـونـ الـنـظـامـ طـرـفـاـ وـشـرـيكـاـ فـيـهـ، وـنـوعـ يـوـهـنـ الـعـزـائمـ وـيـدـعـوـ إـلـىـ الـاسـتـسـلـامـ.

يـجـبـ أـنـ يـتـفـقـ أـهـلـ الـثـورـةـ جـمـيعـاـ عـلـىـ قـاعـدـةـ الـقـوـاعـدـ فـيـ هـذـهـ الـثـورـةـ قـبـلـ تـقـدـيمـ أـيـ مـبـادـرـةـ: لـاـ اـسـتـسـلـامـ وـلـاـ تـوقـفـ مـهـمـاـ بـلـغـتـ

التضحيات، لأن ثمن التوقف والاستسلام سيكون أشنع وأبشع من كل ما مرّ بالثورة إلى اليوم من أهوال. ربما كان قرار البدء بالثورة صحيحاً وربما كان خطأً، لا يهم، هذا أمر تجاوزناه منذ زمن، ولو أننا عرفنا من الذي بدأ الثورة فربما استطعنا أن نسائله ونحاسبه، ولكننا لن نجده أبداً لأن أحداً لم يبدأ هذه الثورة؛ إنها الثورة التي صنعها الله. ومهما اختلفنا في حكمنا على مبتدئها فإن الحكم على منتهاها غير قابل للخلاف: لا سبيل سوى الاستمرار حتى إسقاط النظام، ولن يسقط النظام ولن يستسلم المجرمون إلا بالقوة، ومن ظنَّ غير ذلك فإنه يعيش في عالم الخيال.

نحن بحاجة إلى مبادرة "كفى"، ولكن ليس كما قدّمت أخيراً؛ ليس لطرفِي الصراع في سوريا بل لأهل الثورة فحسب، فنقول لل العسكريين: "كفى تفرقاً؛ نريد عملاً عسكرياً احترافياً موحداً"، ونقول للسياسيين: "كفى عبثاً؛ نريد عملاً سياسياً مخلصاً ناضجاً"، ونقول للمدنيين: "كفى يأساً؛ نريد تفاؤلاً واستشارةً وعزيمة قوية تساعدنا على الاستمرار حتى الانتصار". وأخيراً نقول لأصحاب المبادرات: كفى مبادرات مُوهنة مُؤيسة. كفى مبادرات تساوي بين الثورة والنظام وتخاطب الثوار كما تخاطب النظام وتطالب الثوار بما طالب به النظام.

كفى مبادرات تطالب الناس بالثورة على الثوار كما تطالبهم بالثورة على النظام. كفى مبادرات تساوي بين دم الظالم ودم المظلوم وتتساوي بين حق المجرم بالعدوان وحق الضحية بالدفاع وتطالب الطرفين بوضع السلاح والتوقف عن القتال.

كفى مبادرات تناشد النظام أو تروج للتصالح مع النظام أو تقبل ببقاء النظام أو جزء من النظام أو توافق على محاورة النظام محاورة اللذ للذ والإنسان للإنسان.

كفى مبادرات تدعوا إلى التصالح والتفاوض مع المجرمين، فإن الغنم لا تتفاوض مع الذئاب على حقها في المرعى والحياة.

\* \* \*

### الحل هو بطرح مبادرات تسعى إلى إصلاح الثورة وترشيدها، لا إلى وأدها وإنهاها.

الحل هو بالاعتماد على قدراتنا وموارينا بعد الاعتماد على الله، لا على القوى الخارجية التي تلعب بالثورة كما يلعب الأطفال بالدمى. الحل هو بالاستمرار حتى الانتصار وليس بالضعف والاستسلام والانكسار.

هذا هو الطريق ولا طريق سواه، أما كيف يكون هذا كله فأمر يقرره عقلاً الثورة وأعلامها وقادتها المخلصون، وهم كثُرٌ بحمد الله. فكونوا - يا أيها الأحرار - قوة دافعة رافعة ولا تكبّلوا الثورة بأغلال اليأس والإحباط، وانشروا التفاؤل وانثروا الأمل في قلوب المتعَبِين والقاطنين، وتوكلوا على الله حق التوكل، يُؤْتُكم من لدنه نصراً كبيراً وفتحاً مُبيناً ولو بعد حين.

الزلزال السوري

المصادر: